Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (5), Issue (4): 30 Dec 2019
P: 140 - 156

ISSN: 2518- 5780

مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (5)، العدد (4): 30 ديسمبر 2019 م
ص: 140- 156

Maximizing Rituals of Pilgrimage: A Communicative & Cognitive Analysis

Mohammed Babiker Alawad

University of Gezira || Sudan

Abstract: This research seeks revealing the cognitive, value and behavioral dimensions carried by Muslims towards the feelings of pilgrimage, and to study the reality of maximizing the sacred feelings through employ the approaches of cognitive and communicative analysis in testing the nature of knowledge and attitudes and behaviors of the "pilgrims" that is reflected in the there maximizing towards the pilgrimage represented in the rituals and feelings of Hajj. The researcher has adopted an integrated approach between the methods of extrapolation in Shariaa sciences and the methods of analysis in communication and cognitive studies. The research has divided into four main axes, which began with a methodological introduction that defined the nature of the study and the methodological tools used to accomplish it, followed by a conceptual axis known as the most important terminology and a theoretical axis that presented a survey of the relevant literature and a review of previous studies. The fourth axis discussed the aspects of maximization and its purposes. The fourth axis was an extensive discussion of the manifestations of exaltation and purposes, and one of the most important results of the research is that the pilgrimage is a religious corner and a global Islamic cultural phenomenon that have social and cultural influences on the pilgrims lives, The research was divided into four main axes that started with a methodological introduction, a conceptual axis known as the search terms and a theoretical axis provided a survey of the literature and a review of previous relevant studies. The fourth axis provided an extensive discussion of the aspects of glorification and its purposes. In the life of pilgrims, and the implications for the outside world in political and economic relations between Muslims, and commercial transactions between them and other countries and peoples of the world, the pilgrimage has an economic impact in developing the behavior of pilgrims financial and savings, and ended with research with several recommendations, including: For a call to achieve complementarity between the curricula of social and human sciences and the facts of divine revelation, and to define the most important results of that integration and employ it to enhance the places of pilgrimage in places, times, feelings, and rituals for pilgrims. Employing theories and hypotheses of sciences, such as social psychology, communication, and sociology, to study crowds of pilgrims and analyze their regularity, consistency, and communication.

Keywords: Pilgrimage، Maximizing، Rituals، Cognitive Communicative.

تعظيم شعائر الحج: تحليل معرفي تواصلي

محمد بابكر العوض

جامعة الجزيرة || السودان

الملخص: يسعى هذا البحث لتوظيف مداخل التحليل المعرفي والاتصالي واكتشاف الأبعاد المعرفية والقيمية والسلوكية المتعلقة بمشاعر الحج لدى المسلمين، ودراسة واقع تعظيم المشاعر المقدسة لدى المكلفين عبر اختبار طبيعة المعرفة والاتجاهات وما ينعكس عنها من سلوك تجاه فريضة الحج ممثلة في شعائر الحج ومشاعره، وقد اتبع الباحث منهجاً تكامليا بين مناهج الاستنباط في العلوم الشرعية ومناهج التحليل في الدراسات الاتصالية والمعرفية، وجاء تقسيم البحث على أربعة محاور أساسية بدأت بمقدمة منهجية فمحور

مفاهيمي عرف بمصطلحات البحث ومحور نظري قدم مسحاً للأدبيات واستعراضاً ومناقشة للأطروحات النظرية المتعلقة بالموضوع وقدم المحور الرابع مناقشة موسعة لمظاهر التعظيم ومقاصده، ومن أهم النتائج التي انتهى إليها البحث أن للحج مع كونه ركناً دينياً تأثيرات اجتماعية وثقافية في حياة الحجاج، وانعكاسات على العالم الخارجي في العلاقات السياسية والاقتصادية بين المسلمين، والمعاملات التجارية بينهم وغيرهم من دول وشعوب العالم، للحج أثر اقتصادي في تطوير سلوك الحجاج المالي والادخاري، وانتهى بالبحث بعدة توصيات منها الدعوة إلى تحقيق التكامل بين مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية وحقائق الوحي الإلهي والتعريف بأهم نتائج ذلك التكامل وتوظيفه في تعزيز ما للأمكنة والأزمنة والمشاعر والشعائر المتعلقة بالحج من تعظيم في نفوس المؤمنين. توظيف نظريات وفرضيات علوم مثل علم النفس الاجتماعي والاتصال والاجتماع في دراسة حشود الحجيج وتحليل ما يميزها من انتظام واتساق وتواصل.

الكلمات المفتاحية: الحج، التعظيم، الشعائر، المعرفية التواصلية.

أولاً: المقدمة:

لا غرابة أن تبدأ السورة الوحيدة التي سميت باسم ركن من أركان الإسلام(سورة الحج)بقوله تعالى "يا أيها الناس" وذلك للتلازم بين كون الحج ركن من أركان الإسلام وشعيرة من شعائر الإيمان وكونه في ذات الوقت تجمع بشري وظاهرة إنسانية منتظمة؛ "لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ"(الحج: 67) مما يبين أن الحج في بعده الإنساني شبيه بالصلاة والصيام فقد ذكر القرآن في شأن الأنبياء اهتمامهم بالصلاة وأمرهم لأهاليهم وأقوامهم بها، وذكر أن الصيام كتب على أمة المؤمنين كما كتب على الذين من قبلهم، والحج من منظور رؤية العالم الإسلامية له دلالات لازمة له بالخصوص باعتباره ركناً في الدين وتكليفاً عبادياً حيث جاء الأمر بالحج في سورة البقرة في قوله تعالى "وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّه"(البقرة: 197)مع إشارته في السياق ذاته إلى مناسك الأمم الأخرى كموضوع للمقارنة والاعتبار.

ومع أن القرآن والكتب السماوية تؤرخ لإنشاء المبنى الحالي للكعبة بذكرى إبراهيم الخليل "عليه السلام"، الذي رفع قواعده وأتم بناءه؛ لتصبح الكعبة هي القبلة التي يتوحد في التوجه نحوها مليار وثمانمائة مليون من الموحدين؛ ويؤكد القرآن على المتداول في الموروث البشري من أن المبنى المعروف بـ"الكعبة" هو أول بيت وضع للناس فارتبط الحج بميلاد البشرية الأول ونزول آدم "عليه السلام" إلى الأرض، ولا شك أن تواتر التئام هذا المجمع سنوياً، ضاماً تمثيلاً لكل المجموعات البشرية دون استثناء يوفر بيئة تمثيلية للتواصل البشري، وظاهرة للاجتماع الإنساني غنية بالدلالات والرموز، ومع أن جملة المتفاعلين في الحج يصدرون عن رؤية إسلامية للعالم إلا أن حضوراً تلقائياً لممثلين من كل بقاع العالم بهذا الانتظام والتنظيم ظاهرة تتحدى باحث الإنسانيات والاجتماعيات المعاصر. فما هو المنهج المناسب لمقاربة هذه الظاهرة؟ وما هي الأدوات المتاحة لتحليلها؟ وما الدلالات والإشارات المتضمنة فيها؟

وقد أسهب الناس في شرح حكمة الحج ومقصده وغاياته وأبعاده فصوره البعض بأن له أعمدة ودعامات فقال "أن للحج "ثلاثة أعمدة هي التقوى، كثرة الذكر، كثرة الاستغفار والدعاء.. وثلاث دعامات لا يقوم إلا بها هي: تعظيم حُرُمات الله- تعظيم شعائر الله- استشعار مِنّته ونعمته بالهداية"[1].

ويظهر تاريخ الحج شعائره ومشاعره من الحوادث، والمناسبات ما يسجل انتهاكات وخروجات سافرة على حالة التعظيم، بل وصلت أحياناً إلى مرحلة أصبحت فيها ساحات الحرم أرضاً للمعارك، وغدت فيها الكعبة مرمىً لقذائف المنجنيق، وإذا كانت سورة الفيل تشير إلى النهاية المأساوية لجيش أبرهة الذي جاء للكعبة غازياً في العام الذي ولد فيه النبي " صلى الله عليه وسلم "، فإن هذا الوعيد الوجودي والتهديد القدري لم يمنع بعض المسلمين من

(1) الباني، أسماء "حوار" بعنوان: الأبعاد الروحية والسلوكية للحج، مجلة إشراقات الرابط:-
http: //article/com.ishrakat_420_desc- الأبعاد - الروحية - والسلوكية - للحج

تهديد أمن الحرم وترويع الحجيج، إن تعزيز ونشر ثقافة التعظيم هو الضامن الأول لعدم تكرار تلك الوقائع المؤسفة في التاريخ القادم لبيت الله وضيوفه، ومن توسيع نطاقات التعظيم بث ثقافة الحج على مستويات متوالية تفي باستغراق الحاج المحرم بالخطاب، وإبلاغ خطاب التعظيم للمؤمن في حلة ومحله والدعوة به لغير المسلمين عبر إبراز الجوانب الإنسانية والروحية في الحج. ولا يتحقق ذلك إلا بتوظيف كل وسائل الإعلام وأنظمة الاتصال المتاحة ومدها بمحتوى يجمع بين التشويق والتسويغ يخاطب العقل ويحرك الوجودان بخطاب ينوع الوسيلة وييسر المعرفة. وقد قال صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحراً"[(2)] رواه الإمام البخاري في "صحيحه" من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

1- أهمية موضوع البحث وبواعث اختياره:

تأتي الأهمية الدينية للحج من كونه الركن الخامس من أركان الإسلام، التي تمثل الوجه العملي والتطبيقي لهذا الدين، وقد ذكرنا أن القرآن أفرد للحج سورة نزلت بمكة قبل أن يفرض الحج وهي السورة المسماة باسم ذلك الركن تأكيداً على أهميته الوجودية العقدية، وإشارة إلى أن معنى الحج في ثقافة المسلمين سابق للأمر الوجوبي مع بقاء الاهتمام العلمي بالحج لدى المسلمين مرتكزاً على الأبعاد الدينية لهذه الفريضة العظيمة؛ كما تتمثل الاهمية النظرية للبحث تركيزه الدقيق على "التعظيم" كمفهوم له أبعاد معرفية وسلوكية جديرة بالاهتمام.

وتزامن ذلك مع اهتمام عملي انعكس من خلال حرص وزارات الشؤون الدينية في البلاد الاسلامية ومنها وزارة الحج السعودية بموضوع "تعظيم شعائر الحج" وكان موضوعاً لندوة الحج الكبرى أحد أهم الفعاليات التي انتظمت الوزارة في اقامتها خلال موسم الحج، وهو ما لفت الباحث لأهمية موضوع التعظيم والحاجة إلى توظيف مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية في دراسته.

تمتاز هذه الدراسة أنها تنظر إلى التعظيم من وجهة نظر الإنسان المكلف به، والأهمية في ذلك راجعة إلى أن التعظيم هنا مقترن بأمور لا يتوقع تساوي الناس فيها؛ منها المعرفة بكل من معنى التعظيم وطبيعة المعظَّم. والاتجاه النفسي والعقلي للأفراد والجماعات والذي يتباين فيه الناس بتباين طبائعهم النفسية والعقلية نتيجةً لما تعرضوا له من تنشئة وتثقيف وتعليم. وتبعا لما سبق "المعرفة والاتجاه" يتحدد سلوك المكلفين وتصرفاتهم المعبرة عن مقدار تعظيمهم وتوقيرهم لشعائر الله، وللثقافة إسهام حاسم في هذا الجانب.

ينطلق البحث من الموقع الذي يقف عليه المكلف القائم بالحج نفسه، وما يرتبط بذلك من أبعاد إنسانية معرفية وثقافية راعتها آيات الحج في القرآن ودلالات الأحكام المتعلقة بها، فهل يصح النظر إلى الحج من زاوية العلوم الاجتماعية والإنسانية والتعامل معه باعتباره ظاهرة قابلة للدراسة وفق منهجيات تلك العلوم؟ أم أن الأسلم القول أن الحج عبادة دينية وحصر التعامل معها في حدود مناهج العلوم الشرعية؟. والمعلوم أن الحج عبادة تتداخل فيها عوامل تتعلق بالزمان والمكان والإنسان ومن ثم تستدعي من المعرفة والخبرة ما يجعل هذه العبادة تتم بأيسر الطرق وأكثرها أماناً، وهو ما يقتضي توظيف المعارف والعلوم والفنون الضابطة لتلك المتعلقات الثلاثة؛ وقد تحدث علماؤنا في طائفة من ذلك وعالجته كتب الفقه والأصول بأنحاء متعددة، ونكتفي هنا بإلقاء الضوء على الجزء المتعلق بالتعظيم ومن هنا جاء اهتمامنا بموقع المكلف؛ ما استدعى الإشارة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية لأنها جعلت الإنسان ذاته موضوعاً لها.

(2) انظر (صحيح البخاري) حديث رقم 6145- باب ما يجوز من الشعر، وما يُكره منه.

2- مشكلة البحث وأسئلته المنهجية:

ومشكلة البحث هي كيفية الوصول إلى منهجية علمية عملية تحقق التلازم المطلوب بين الإتيان بمظاهر النسك على وجهها وتعظيم الشعائر كما أمر الشارع، باعتبارها أحد مقاصد الحج ونتائج هذه العبادة قال تعالى: " ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ" (الحج: 32)

وذلك في مواجهة زمرة من الأسئلة والاستفهامات، عن بواعث التعظيم وهل هو نابع من شيء في ذات المعظَّم؟ وهل المقصود بالتعظيم هو الفعل القلبي أم السلوك المعبر عنه والصادر من القائم بالتعظيم نفسه؟ "من تقوى القلوب" على نحو ما أشارت إليه الآيات؟ أم أنه نتاج لعوامل متعلقة بالتنشئة والثقافة والأعراف والتقاليد؟ وهل التعظيم عبادة دينية أم عادة اجتماعية؟ وما هي انسب المناهج لدراسة حقيقته؟ والإجابة لها قيمتها وأثرها على الواقع والمآل وما إذا كان اضطراد التعظيم والتقدير والإجلال لشعائر الحج والاحترام والتوقير لمشاعره طوال مواسم الحج المنتظمة لقرون مضت، كافٍ لينفي احتمال حدوث ما يخالفه بخروج عن تلك الحالة الأصلية من أفراد وفئات- كما حدث في فترات مضت من تاريخ الأمة- فما هي الأسباب الحاملة لهم على مغادرة تلك الحالة من التعظيم والتوقير؟ وما السبيل إلى الحفاظ على تلك الحالة وصيانتها واستدامتها؟.

ولا شك أن الإجابة عن هذه الأسئلة ومثلها ضرورية لتحديد الوسائل والسبل الكفيلة بترسيخ المحبة واستدامة التعظيم والإجلال لشعائر الله عند كافة المسلمين، فإنها لازمة وحافزة لتطور الاتجاهات الجارية لدراسة الحج.

3- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

لفت الانتباه إلى طبيعة الأدلة الداعية لـ"تعظيم الحج وشعائره والكشف عن ماهية تلك الشعائر المعظمة وطبيعتها. ومفهوم التعظيم وأدلته ومظاهره.

الاختبار المتبادل لمناهج العلوم الشرعية ومناهج العلوم الاجتماعية في دراسة الحج من ناحية معرفية وناحية اتصالية لتأثر الحج والحجاج بالعلوم والمعارف الدينية والعلوم الاجتماعية والإنسانية المهتمة بدراسة الظواهر الإنسانية ومن أهمها علم الإنسان، فيتأثر فقهنا بالحج بمقدار كسبنا كأمة وأفراد لعلوم الإنسان والاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية "أحد فروع علم الإنسان" وعلم الأديان، تأثره بعلوم الجغرافيا والفلك والهندسة والطبيعة. وقد اوفت كتب الشريعة في مراعاة هذا الجانب مما يمنح اهتمامنا هنا بالأبعاد المعرفية والنفسية والسلوكية؛ المتعلقة بالمكلفين قدراً من المشروعية ولا يقلل من قيمة علوم الشريعة باعتبارها الضابط للنظر في أفعال العباد حكماً وقياساً وتقويماً؛ بأحكامها وما يتفرع عنها من أنظمة ولوائح وموجهات، ويلحق بها كل ما يوضع للحفاظ على هيبة البيت وحرمته وما يلحق به من مشاعر الحج وشعائره.

تعزيز للدلالة الشرعية وما تقتضيه من وجوب الحج، والتنبيه إلى عدة دلالات أخرى؛ كالدلالة المعرفية.

إثارة الانتباه إلى الأهمية التاريخية لهذه العبادة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية وآثارها الحضارية والثقافية،

التنبيه إلى البعد السلوكي للعبادة بدأً بخلاص النية التي هي شرط صحة، تستوجب الالتزام بكل ما يدل على التعظيم والتوقير، وتشترط التعبير عن توجه قلبي يستحضره المكلف حال الأداء ويستشف من سلوكه في أداء الشعائر. كما تقتضي دلالة تواصلية إعلامية كانت أو إخبارية يتحقق بها الإشهار والإعلام والنشر.

4- الدراسات السابقة:

ومع ثراء المكتبة الإسلامية بالإنتاج في فقه الحج وفضائله، ما يرتبط به من أحكام وأدلة، وما يتضمنه من دلالات إيمانية تعبدية؛ فإن الأدبيات المعاصرة قد توسعت في دراسته في أبعاده الجغرافية والثقافية والاقتصادية والسياسية، فاهتمت بطرق الحجيج، وموانئ تجمع الحجاج وما كتبه الرحالة والمسافرون من وصف وتوثيق لرحلة الحج، إذن فقد ركزت تلك الدراسات على الجوانب المختلفة لرحلة الحج الاقتصادي والمالي منها والثقافي والأدبي بجانب المدخل الفقهي والعقدي.

واقع تعظيم شعائر الحج: تشير الأدبيات إلى المواقف المختلفة من مسألة التعظيم ففي بحثها "أثر الحج في سلوك الفرد" ترى الباحثة هدى بنت محمد التيسان،:، " أن كثيراً من الحجاج ينهمك في أداء المناسك الظاهرة من طواف وسعي ورمي وغيرها، دون أن يصاحب ذلك تعظيم باطني لشعائر الله، فلذلك يتشاغل برؤية الغادي والرائح، ويبدو عليه الفتور والملل، ويبحث عن شواذ الرخص، بخلاف من عمر قلبه بجلالة الموقف ولذة العبادة"[(3)] والذي يعرض الوجه المقابل والموقف الموجب بدوام الخشوع والإخبات والذكر، والامتثال بالدعاء والتلبية والاتيان بالمناسك على وجهها تعظيماً لمشاعر الله. واشتكى بعض الدعاة بحزن متسائلاً "ومن يدري فلعل الوضع الأليم الحالي للمؤمنين ينبع من تعرض الكعبة إلى مثل هذه الاستهانة وعدم التوقير!"[(4)] وتبدو حقيقة التعظيم جلية فيما تعرضه الإحصائيات من تزايد مضطرد في أعداد الحجيج والمعتمرين.. وهي أول الأمور الدالة بظاهرها على التعظيم. كما تشهد المشاعر والمساجد والمناسك من التوسعة والتهيئة والتيسير عاماً بعد عام ما يدل على وجه آخر من وجوه التعظيم يجسده القائمون على الأمر.

الأبعاد المعرفية والثقافية لرحلات الحج: وفي سياق الدخل المعرفي للدراسة جاء الالتفات إلى دراسات أخرى ركزت على جانب آخر من الحج وهو المتعلق بأدب الرحلات بما يعرضه من نتائج الاتصال الثقافي والتواصل المعرفي المترتب على حركة الحجيج، والرحلات بأغراضها المختلفة سمة من سمات الحضارة الإسلامية، وكانت كما وصفها الباحث الفاتحة للآفاق الثقافية، والمستقصية للعادات البشرية والمجالس العلمية، وهو ما فرضته الحاجة إلى التفاعل بين المشرق والمغرب. وقد ركزت غالب كتب الرحلات في موضوعاتها على تبيان خط سير الرحلة من نقطة الانطلاق حتى الوصول إلى المنطقة المراد الوصول إليها، سيما بلاد "الحجاز" عند الرحالة الذين القاصدين إلى الله بنية الحج، مع ما يتخلل ذلك من تسجيل لمشاهدات متنوعة، مدعوم في وصفه بحس أدبي يجمع بين البعد الفني والتاريخي والجغرافي ويعبر عن ثقافة صاحب الرحلة، وقد كانت الرحلة ولا تزال مورد للمعرفة الدقيقة باعتمادها المشاهدة المباشرة أساسا للتدوين، وابتعادها عن النظام النمطي القديم في كتابة الرحلات، وعدت بعض الرحلات بمثابة طفرة علمية باقترابها من الواقع فأغنت المكتبات بكثير من العلوم ومن أمثلة ذلك النوع من الرحلات الغنية والمؤثرة في المعرفة والثقافة الإسلامية "رحلة التجيبي" صاحب الرحلة المشهورة بـ(مستفاد الرحلة والاغتراب)[5].

وفي دراسته عن طرق الحج في إفريقيا الدور العلمي لرحلات طريق الحج الإفريقي اتخذ [(6)] محمد خليفة صديق رحلة الشنقيطي للحج نموذجا مركزاً على الدور العلمي الرحلات الحج الأفريقي، مثل رحلات العلماء وأهل

---

(3) التيسان: أثر الحج في سلوك الفرد، كتاب ندوة الحج الكبرى ص72

(4) فتح الله: أضواء قرآنية، ص 56.

(5) حردان: رحلة الحج عند الرحالة المغاربة التجيبي السبتي أنموذجاً، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (23) العدد(5) ص 50

(6) صديق: عن طرق الحج في إفريقيا الدور العلمي لرحلات طريق الحج الإفريقي رحلة الشنقيطي للحج نموذجا، جامعة افريقيا الخرطوم 2016

الفقه والمعرفة، وتلقي الورقة على حياة صاحب الرحلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، وهو صاحب التفسير المشهور (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) وكيف كانت رحلته إلى الحج وما صاحبها من صعاب، ومن لقي فيها من الطلبة والعلماء وبعض ما دار بينه وبينهم من المناقشات والمباحثات أثناء رحلته إلى الحج منذ خروجه من بلاده وحتى وصوله إلى مكة، ومنها وقت وجوده في السودان، الذي دخله من غربه من بلدة أبشي على الحدود السودانية التشادية، مرورا بالجنينة والفاشر وكبكابية والأبيض، ورحلته بالقطار من الأبيض إلى الخرطوم، وتطرقت لبعض المسائل التي سئل عنها الشنقيطي في تلك المناطق لبيان الدور العلمي لتلك الرحلة وأثرها على السودانيين آنذاك. كما ركزت الورقة على نشاط الشنقيطي في أم درمان وما دار بينه وبين علماء السودان وطلاب العلم فيه خاصة في معهد أم درمان العلمي الذي قال أنه وجده حافلاً بالعلماء وطلبة العلم الأذكياء سارداً مسائل في الفقه والمنطق والشعر وغيرها. وعرض مشابه نجده في بحث القيسي، حسين علي قيس محمد، حول الاتصال الثقافي في رحلة الحج كما وصفه الحسن بن الوزان الفاشي في رحلته إلى الحجاز أواخر عام 1921 /1516 حيث سلك مع ركب الحجاج القاسيين الطريق الشمالية عبر مدن تازا قدبدو وتلمسان وتونس عن طريق الأماكن ومواقع البلدان التي مروا بها وكيف كان تعامل أهلها معهم.

لقد أعطى الحسن بن الوزان في كتابه وصف إفريقيا صورة لتعدد ثقافي واسع من خلال تداخل الحضارات وتاريخ شمال إفريقيا فكانت رحلته معتمدة على مجموعة من العلوم الإنسانية والآثار إضافة إلى مختلف وجوه ثقافية من خلال البيئة ومعالمها وأثارها الأصلية والمستحدثة. فقد نهض في كتابه على جملة من العمليات المتطور النابضة بالحياة ومواكبة مسار الثقافات المتطلعة إلى كل ما هو جديد. الاتصال الثقافي لدي الحسن الوزان في رحلته للحج من منظور علم الإنسان الانثروبولوجيا).

الجوانب الاقتصادية والمالية للحج: أما على مستوى العلاقات السياسية والاقتصادية فقد لعب الحج دوراً مشهوداً فبالإضافة لما للحج من تأثير معلوم في حياة الحجاج من عامة المسلمين، فقد كان له أثره الخاص في المجتمع المكي منذ نشأته، وهو مما امتن به الله على سكان مكة فقال تعالى" قَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57)" مشيراً في هذه الآية من سورة القصص إلى ما ورد في سورة قريش من نعمتي الأمن من جوع والاطعام من خوف، لقد أثرت رحلة الحج على حياة المكيين وتقاليدهم وعاداتهم، كذلك انعكس الأثر على الحجيج أنفسهم، فمن خلال تعاملهم مع أهل مكة خاصة من جلسوا منهم لتلقي العلم أو مزاولة التجارة، نراهم قد تأثروا بما في المجتمع المكي من عادات وتقاليد، فنقلوا بعضها إلى مجتمعهم عندما عادوا إليه، وقد تناولت دراسة دور الحج في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم آل العظم "1132- 1221هـ/1720–1807م"، أوجه العلاقات القائمة بين مكة وبلاد الشام والتي تمثل امتداداً لما كان في قائماً في ذلك العهد، من تأثر الحجيج الشامي بالمجتمع المكي وكيف ظهر ذلك في مجتمعهم بعد عودتهم من أداء الفريضة. وقد كشف البحث عن أن مكانة مكة الدينية، ومنزلتها في قلوب المسلمين، جعلت حكام الدول العثمانية حريصين على استقرارها سياسيا، وتأمينها، وتأمين طرق الوصول إليها، كذلك كشفت الدراسة على أهمية دمشق بالنسبة للدولة العثمانية، وأن ضمان سلامة الحج ونجاحه، مرهون بالوضع السياسي والأمني بدمشق، لذا عمد العثمانيون على استرضاء أسرة آل العظم، ذات القاعدة المحلية في بلاد الشام، ويسروا لهم أسباب النهوض سياسيا واقتصاديا، مما يؤكد على الدور السياسي والاقتصادي وينعكس على العلاقات بين الدول العربية والإسلامية[7].

(7) الرشيدي: دور الحج في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم آل

ومن الناحية المالية ينظر بحث "قياس ادخار الحج في التجربة الماليزية للمدة (2002- 2014)"[8] إلى الحج باعتباره عبادة مالية، منطلقاً من أن إيمان المسلم بفريضة الحج ليس قضية فلسفية مجرّدة بعيداً عن توجيه أنشطته وممارسته اليومية، ففي الإيمان بالعقيدة يتم ربط الفكرة بالعمل، والنية بالحركة والسلوك، فرغبة المسلم في إداء فريضة الحج تدفعه إلى التفكير بطريقة وكيفية الحصول على مبلغ السفر، وعليه ظهرت فكرة تقوم على مساعدة مسلمي ماليزيا على ادخار نفقات الحج واستثمارها لهم عبر إنشاء صندوق الحج الادخاري، وتهيئة رحلة الحج للمدخرين بكل يسر وسهولة، ونحن كمسلمين مأمورين بالادخار والاستثمار فنحن أولى بتطبيق هذه الفضيلة من غيرنا من الأمم لأنها توجيه إلهي، وقد أدى قطاع الادخار دوراً كبيراً في تمويل الاستثمارات العامة دون اللجوء إلى المعونة الأجنبية، أو الاكتراث بتحذيرات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، مما جعل تجربة صندوق ادخار الحج تجربة فريدة ناجحة وقابلة للتطبيق.

5- منهجية البحث وطبيعة عمل الباحث فيه:

على اختلاف فروع المعرفة التي تدرس ظواهر الاجتماع البشري والتواصل الإنساني وتعدد مناهجها واتساع مباحثها، يتعاظم كسب المسلمين فيها منهجيا ونظريا وتطبيقياً، والحج بيئة تمور بتعقيدات المنهج، والتنظير وإشكالات الممارسة والتطبيق، مما اضطر الباحث إلى اتباع منهجية منفتحة تقوم على التكامل بين مناهج الاستنباط في العلوم الشرعية ومناهج التحليل في الدراسات الاتصالية والمعرفية.

فبدأ الباحث في مدخله إلى موضوع البحث باستنطاق النص، باحثاً عن الخارطة المفاهيمية المشكلة لفضاء التعظيم، وتفعيل الأصول لتلقي أضواء كاشفة لحقائق النصوص المتعلقة بالحج ومقاصدها، ومناهج التحليل الاجتماعي والاتصالي لموضوع الدراسة ممثلاً في الجوانب العملية من فريضة الحج، وقد استخدم الباحث في إنجاز بحثه منهجية الملاحظة بالمشاركة حيث تمثل الورقة البحثية تجربة من التأمل العلمي مر بثلاث مراحل الأولى نظرية صرفة تمت قبل الشروع في تجربة الحج، والثانية ممارسة وتواصل معرفي أثناء أداء فريضة الحج ومناقشة بعض فرضيات واسئلة الورقة مع لفيف من العلماء ضمن ندوة الحج الكبرى المقامة في العام 2013م والثالثة بعد مضي بضع سنوات تكاملت فيها الرؤية واستقرت الأفكار على جودي التجريب العملي والتواصل المعرفي فخرجت بشكلها الحالي.

ولجأ لمنهج التحليل المعرفي "الابستمولوجي" لعرض ما كشفت عنه البحوث والأدبيات الجارية من حقائق الحج وأثاره حقائقه المصاحبة له كممارسة جارية منذ النداء الأول وآثاره في سلوك الأفراد والجماعات الممارسة له أو المتواصلة مع عوالمه، فعني بالأدبيات المتعلقة بنظم الرحلة والاغتراب عند المسلمين، والبحث في الدور العلمي لمسارات وطرق الحج، والاتصال الثقافي الذي تعززه رحلات الحجيج.

6- خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة. جاءت المقدمة حاوية لأهم العناصر المنهجية فتحدثت عن موضوع البحث أهمية وبواعث اختياره:- منهجه وأهم الدراسات السابقة ومشكلة البحث وأسئلته المنهجية. أما

العظم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، 2016/4، Vol. 9 Issue 3, pp 2016. 1417- 1464

(8) باقر. ،عبد الله: قياس ادخار الحج في التجربة الماليزية للمدة (2014- 2002) مجلة البحوث الاقتصادية والمالية مجلد 3 العدد 2 ص 149

المبحث الأول فقد حوى الإطار المفاهيمي للبحث، وحوى المبحث الثاني الاطار النظري للبحث، وجاءت الخاتمة متضمنة خلاصة الدراسة، وأهم نتائجها وتوصياتها.

ثانياً- الإطار المفاهيمي:

أ- مفهوم شعائر الحج:

والشعائر لغة: واحدها شعيرة، ولم يختلفوا أنها المعالم. وحقيقتها أنها فعيلة، من شعرت، بمعنى مفعولة. وشعرت: دريت، وتفطنت، وعلمت، وتحققت ؛ كله بمعنى واحد في الأصل، وتتباين المتعلقات في العرف، هذا معناه لغة كما وقد أورد ابن العربي في أحكام القرآن[9].

والشعيرة اصطلاحاً: كل ما جعل علماً لطاعة الله عز وجل كالوقوف والطواف والسعي والرمي والذبح وغير ذلك، ويخرج به ما كان من الحج وليس بشعيرة، والضابط في كون النسك شعيرة أن يكون له دلالة على الإعلام والإعلان ومنه الحديث: أن جبريل أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: "مر أمتك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج"[10] وقيل شعائر الله هي أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها، كما قال تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " (البقرة: 158) ومنها الهدايا والقربان للبيت.

وشعائر الحج: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله. وقيل الشعائر مواضع الحج كلها من منى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك. وقيل: هي شرائع دين الله تعالى وتعظيمها التزامها، والجمهور على الأول.

فأما المراد بها في الشرع وفيه أربعة أقوال:

الأول: أنها عرفة، والمزدلفة، والصفا، والمروة، ومحل الشعائر إلى البيت العتيق. قاله ابن القاسم عن مالك . الثاني: أنها مناسك الحج وتعظيمه استيفاؤها. الثالث: أنها البدن، وتعظيمها استسمانها. الرابع: أنه دين الله وكتبه، وتعظيمها التزامها. والصحيح أنها جميع مناسك الحج[11].

و قال فخر الدين الرازي: في تفسيره الكبير عند قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ"(المائدة: 2) واعلم أن الشعائر جمع والأكثرون على أنها جمع شعيرة وقال ابن فارس: واحدها شعارة والشعيرة فعيلة بمعنى مفعلة والمشعرة المعلمة والإشعار الإعلام وكل شيء اشعر فقد اعلم وكل شيء جعل علما على شيء أو علم بعلامة جاز أن يسمى شعيرة. فالهدي الذي يهدى إلى مكة يسمى شعائر لأنها معلمة بعلامات دالة على كونها هديا ومن أقوال المفسرين في المراد بشعائر الله قوله: «لا تحلوا شعائر الله» أي لا تحلوا بشيء من شعائر الله وفرائضه التي حدها لعباده وأوجبها عليهم وعلى هذا القول فشعائر الله عام في جميع تكاليفه غير مخصوص بشيء معين ويقرب منه قول الحسن شعائر الله دين الله[12]. أما الشوكاني فقد عرَّف في تفسيره (فتح القدير) الشعائر- بأنها- جمع الشعيرة وهي كل شيء فيه لله تعالى شعار، ومنه شعار القوم في الحرب، وهو علامتهم التي يتعارفون بها ومنه إشعار البدن، وهو الطعن في جانبها الأيمن، فشعائر الله أعلام دينه وتدخل الهدايا في الحج دخولاً أولياً والضمير في قوله: « فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى

(9) ابن العربي: أحكام القرآن، ص 288

(10) سنن ابن ماجة/ج 2 /ص 1235

(11) ابن العربي: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(12) الرازي: تفسير الفخر الرازي الجزء 11 ص. 128

الْقُلُوبِ"(البقرة: 32) راجع إلى الشعائر بتقدير مضاف محذوف: أي فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي من أفعال القلوب التي هي التقوى، فإن هذا التعظيم ناشئ من التقوى[13].

الفرق بين النسك والشعائر:

أن ثمة فروقاً دقيقة بين النُسك والشعائر: حيث يبدو من تعريفات العلماء وكان النسك وصف لفعل المتنسك أكثر من كونه وصفاً لموضوع النسك بينما العكس في الشعائر، فهي شعائر بذاتها فالصفا والمروة شعائر بذاتها أما الذبح الذي دارت حوله معظم تعريفات النسك فسلوك عملي كذا الطواف والرمي وهو أمر متفق مع الدلالة العامة لمعنى النسك والتنسك كما بين الحافظ ابن كثير أن المنسك يقال: للعبادة، فيقال مثلاً: فلان متنسّك أي متعبد، ويقال لعبادة مخصوصة وهي الحج والعمرة، ويقال: النسك والمناسك، ويقال لجزء من هذه العبادة وهو الذبح والقرابين من الهدي، فيقال: نسيكة ذبيحة، والمناسك عند العرب الأماكن التي يُذبح فيها- والله تعالى أعلم- وتزيد الشِعائر على النسك بكونها علامات لأنّ فيها نوعاً من الإعلام والإشهار، وهو واضح في تعريف الشوكاني.

ب- مفهوم التعظيم وأدلته:

وردت الإشارة إلى "شعائر الله" في أربع مواضع من القرآن الكريم، واقترن الأمر بتعظيم شعائر وحرمات الله المتعلقة بالحج ثلاث مرات مرتين في سورة الحج بنص التعظيم وهي قوله تعالى ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30]، وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32] وفي الثالثة نهى عن ما ينافي التعظيم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 2] وقوله تعالى ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ... ﴾ [الحج: 36] وهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158].

ومما ورد في السنة الحديث الذي أخرجه أحمد، وحسنه ابن حجر، من حديث عَيّاشَ بنِ أبي ربيعةَ- رضي الله عنه- أنه قال: سمعتُ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- يقول: (لاَ تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا، فَإِذَا تَرَكُوهَا وَضَيَّعُوهَا هَلَكُوا)[14].

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي شُرَيحٍ العَدَوِيِّ- رضي الله عنه- قال لعمروِ بنِ سعيد، وهو يبعث البُعوث إلى مكة: ائذنْ لي- أيها الأميرُ- أحدثْك قولاً قام به النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- الغَدَ من يومِ الفتح، سمعتْه أُذُنايَ، ووعاه قلبي، وأبصرتْه عَينايَ حين تكلم به: حَمِدَ اللهَ، وأثنى عليه، ثم قال: (إن مكة حرَّمها اللهُ، ولم يحرمْها الناسُ، فلا يَحِلُّ لامرىءٍ يؤمن بالله واليومِ الآخر أن يسفكَ بها دمًا، ولا يَعْضِدَ بها شجرةً، فإنْ أحدٌ تَرَخَّصَ لقتالِ رسولِ الله- صلى الله عليه وسلم- فيها، فقولوا: إنّ اللهَ قد أَذِنَ لرسولِه، ولم يأذنْ لكم، وإنما أَذِن لي فيها ساعةً من نهار، ثم عادتْ حُرمتُها اليومَ كحرمتِها بالأمس، ولْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائب)[15].

والتعظيم في اللغة: هو التقدير والتبجيل، والتعظيم في كل أمر هو غايته فإذا كان الأمر شرعياً كما هو الحال في موضوعنا عني به غاية التقديس، ذلك أن المعظم أهل للتعظيم بحق لذاته وهذا لا يكون إلا لله أو لتعلقه بالله ويكون ذلك لرسوله ولبيوته، ولأيامه جل وعلا، ولما تعلق بكل من تلك المذكورات ونحوها كونها أعلى درجة من مقام المعظِّم "القائم بالتعظيم". وهو من أعمال القلوب، كما أنه وظيفة زائدة عن مجرد الاتباع في الفعل أو عدمه.

---

(13) فتح القدير ج 3 ص. 452

(14) احمد بن حنبل: المسند، تحقيق: أحمد شاكر، حديث رقم 18950 الجزء 14 الصفحة 367

(15) صحيح الترمذي، 809

والتعظيم أيضاً هو الإكبار والإجلال، والتكبير يقال لذلك، ولتعظيم الله تعالى بقولهم: الله أكبر، ولعبادته واستشعار تعظيمه، وعلى ذلك: "ولتكبروا الله على ما هداكم" (البقرة: 185).

ومن أشكال التعظيم المتعلقة بالحج العكوف: وهو الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم له، والاعتكاف في الشرع: هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة ويقال: عكفته على كذا، أي: حبسته عليه[16].

وقيل أن المعني بتعظيم شعائر الله التزامها، وإجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، ومنها الهدايا، فتعظيمها، باستحسانها واستسمانها، وأن تكون مكملة من كل وجه قال تعالى": ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (*)لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " (الحج: 32- 33)[17] وقال قوم: المراد هنا تسمين البدن والاهتمام بأمرها والمغالاة بها؛ قال ابن عباس ومجاهد وجماعة. وفيه إشارة لطيفة، وذلك أن أصل شراء البدن ربما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الإخلاص، فإذا عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى القلوب.[18]

ومن التعظيم تنفيذ الأمر برضا القلب وبنية الانقياد على أحسن وجه وأفضله، وقد فرق العلماء بين أداء الشعيرة، وتعظيمها، فأيّ إنسان وقف في عرفات فقد أدى الشعيرة، ومَن بات في مزدلفة قد أدى الشعيرة، ومَن طاف طواف القدوم قد أدى الشعيرة، لكن الله عز وجل ينتظر منا فضلاً عن تأدية الشعائر تعظيم هذه الشعائر، من تعظيمها أن يؤديها الحاج كما فعلها النبي عليه الصلاة والسلام، من تعظيمها أن يؤديها الحاج على شوق وطيب نفس، لا على تأفف وتململ، ومن تعظيم الشعائر أن يؤديها الحاج، ويتمنى أن يؤديها مرات ومرات[19].

ثالثاً- الإطار النظري:

لقد جاء الأمر الإلهي بتعظيم شعائر الحج سابقاً لآيات سورة البقرة الدالة على فرض الحج على المسلمين وذلك فشملت آيات سورة الحج[20] أمرين بالتعظيم؛ أمر بتعظيم (حرمات الله) وعدم انتهاكها، وأمر بتعظيم (شعائر

---

(16) لذلك قال: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ [الحج/25]، ﴿والعاكفين﴾ [البقرة/125]، ﴿فنظل لها عاكفين﴾ [الشعراء/71]، ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾[الأعراف/138]، ﴿ظلت عليه عاكفا﴾ [طه/97]، ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [البقرة/187]، ﴿والهدي معكوفا﴾ [الفتح/25]، أي: محبوسا ممنوعا

(17) ابن العربي: رقم الطبعة: ط1

(18) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص56

(19) النابلسي: ومضات في الإسلام، http: //www. nabulsi. com/blue/ar/print. php?art=9517 بتاريخ: 2005- 08- 20

(20) "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30)حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَو تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31) ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (35) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36) لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37) ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)"

الله) وهي ما أظهره وبينه من علامات تقتضي التوقير والتقدير والرعاية، ويتخصص ذلك في تعظيم شعائر الله في الحج.

والحج من منظور آخر واحد من أقدم وأشهر أشكال تنقل السكان المعروف في المجتمع البشري، وكانت آثاره السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية دائما، ولا تزال كبيرة، ومحلاً للاهتمام العام من قبل جمهور المسلمين والخاص من قبل العلماء والباحثين.

1- المنظور الاجتماعي للحج وتعظيمه:

يلتقي الحج مع اهتمامات علم الإنسان في صيغته الشعائرية وما يرتبط به من مناسك وطقوس هي محل اهتمام هذه العلوم؛ ومؤكد أن استيعاب حقائق تلك العلوم والتعريف والتنويه بما صح من تلك الآثار والموروثات من شأنه أن يزيد الأمكنة والأزمنة والمشاعر والشعائر المتعلقة بالحج عظمة في نفوس المؤمنين.

وتشغل مظاهر الحج اهتمام عالم النفس الاجتماعي من جانب كونها تفاعل مجموعات ثقافية وكتل بشرية ضخمة، متباينة التكوين اللغوي والخبرات التاريخية والحضارية الأمزجة والطبائع الإنسانية إلا أنها في الحج سرعان ما تنتظم في سلوك جمعي عالي عالى التنسيق دون ترتيب أو تدريب مسبق مجسدةً ظاهرةً فريدةً من السلوك الجمعي الرشيد.

2- المنظور الاتصالي للحج وتعظيمه:

والحج إضافة لما سبق بيئة للتفاعل الرمزي تقوى فيها لغه العلامات والشعارات والمشاعر والدلالات غير اللفظية لتحيطه بمختلف مستويات التواصل المنساب والسلس طوال موسم الحج. بدأً بانعقاد النية بالحج والذي يرتبط بميقات زماني ومكاني وشعار في اللباس والهيئة يلتزمه كل حاج، وكما يحكم الإحرام بالحج كل سلوك الأفراد في مظهرهم؛ فإنه يتحكم في علاقاتهم بعضهم ببعض فيحكم لغة التخاطب فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، ويحكم العلاقات الاجتماعية حتى أخص العلاقات بين الزوجين يعاد ترتيبها وتتقيد حدود اللقاء بينهما إلى ما بعد التحلل من الإحرام، ويحكم حركة الجماعات بين المشاعر وينظمهم في صفوف الصلاة، انتظاماً تلقائياً يؤكد قوة الفطرة الإنسانية ويبرز الأداء التنظيمي في العبادات دليلاً على أن الإنسان اذا ترتبت وجهته القلبية واتجاهه النفسي انتظم سلوكه الشخصي والجمعي ومن ثم سعيه بين الناس وضربه في الأرض. وفي إشارة إلى أن توحيد صفوف الصلاة مقدمة لما يعبر عنه من الروابط وجدانية وروحية تجمع بين أفراد الأمة شعوبها وقبائلها.

كان الحج، أو الرحلات إلى المواقع المقدسة، ظاهرة عالمية مهمة لدى مختلف الشعوب والثقافات وجميع الديانات التوحيدية في اليهودية والنصرانية والإسلام والديانات الشرقية جميعها لديها تقاليد للحج. ولطالما كان الحجّ مجالًا للاهتمام الأدبي، وظلت روايات الحج تذهل القراء. على مر القرون، استمر الحج في الأهمية في جوانبه الشخصية والاجتماعية والروحية. والسؤال كيف تغيرت ممارسة الحج على مر السنين. تشير النتائج إلى تحولات دراسة الحج، لا سيما فيما يتعلق بالحدود المشوشة بصورة متزايدة بين السياحة والحج والعمرة، العلاقات الثقافية بين أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف، وطرق الحج كأهم روافد تلك العلاقات. يمكننا ملاحظة تطورات في اهتمامات البحوث الجارية تتمثل في السعي للموازنة في الاهتمام بين البعد المقاصدي العريق في مباحث العلم الشرعي، والبعد الاجتماعي الذي يحيل الحج إلى ظاهرة قابلة للدراسة وفق مناهج العلوم الاجتماعية الإنسانية والبعد التواصلي الذي يربط ما سبق بالعلوم التقنية.

ونؤكد هنا على دور البحث العلمي والنشاط المعرفي في تعزيز التناسب المطلوب بين وعي الحجاج بالمقاصد الكلية لشعيرة الحج ومقدار ما يحملونه من تعظيم وتقدير المناسك والشعائر، ذلك الوعي الذي هو شرط سابق

لتحقق التعظيم. ويستلزم التحقق باستبانة الغاية والمقصد من شعيرة الحج تطوراً في المعرفة بفقه الحج يتناسب والمستوى العلمي والأفق المعرفي للمسلم المعاصر.

3- بواعث التعظيم ومقاصده:

الأصل- كما أسلفنا- في المؤمن حال تعامله مع شعائر الله عامة وشعائر الحج ومناسكه خاصة التزام أمر الله تعالى بتمام التعظيم والتوقير والإجلال، بدأً بإخلاص النية لله في هذه الفريضة حتى لا يكون داعيه إلى الحج إلا الاستجابة لداعي الله تعالى، واتباع نهج المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي قال "إن الله قد فرض عليكم الحج فحجواً"[21] وجواباً لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام " وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"(الحج: 27)

ولأن طبيعة الدراسة لا تتيح استعراض التطور التاريخي للحج وما اكتنفه من نجاحات ومزايا وما واجهه من تحديات وعقبات لذلك سنهتم في هذا الجزء من الدراسة بالنظر في واقع تعظيم الشعائر؛ ومن أوجه التعظيم العمل على استتباب الأمن والسلامة وتوفير سبل الراحة للحاج منذ خروجه من موطنه وأثناء إقامته بالأماكن المقدسة إلى حين عودته سالماً إلى بلاده.

ونتذكر هذه الجوانب من التعظيم لأن بفواتها يدخل الحاج في حال من العسر يتعذر معه تمام التعظيم.. واستحضار تاريخ الحج مهم في هذا الجانب ولعل الندوة التي نحن فيها كثير وسيلة للتعظيم من هذا الباب.

ويجب ألا ينسينا التقويم المتفائل ما تعج به أيامنا هذه من مظاهر سالبة، وما يشيع بين بعض المسلمين من معارف تنافي روحها حقيقة التعظيم وحمل مفاهيم خاطئة تنسب إلى الشعائر ما ليس منها، أو تضيف إليها ما ليس فيها بالقول أو العمل، والأمر هنا لا ينفع فيه التفصيل.

- التعبير عن اتجاهات سلبية ناحية الحرم ومحيطه بالاعتقاد أو القول أو الفعل. كاعتقاد أن في الأرض من الأماكن ما هو أحق بالتقديس من الحرم ونحو ذلك مما يخطر في نفوس الجهلة.
- أو باستحلال بعض الشعائر وابتذالها والتشاغل عنها والاستنكاف عن الإتيان بحق تعظيمها إما بالجهل، أو بطول الإلف وإما بطراً وكبراً وسفهاً.. ومن مظاهر ذلك الاستهانة بشأن الحاج أو التشاغل عن واجبات الحجيج ممن أوكل إليهم خدمتهم وغير ذلك. ﴿ ﴾
- وقد يتم التعبير عن ما سبق بسلوكيات وأعمال تنافي التعظيم وتعارض الشرع أجملها الشارع بالنهي عنها في قوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197]
- والرفث الجماع والفسوق المعاصي والجدال المراء أن تماري صاحبك حتى تغضبه[22].

وأول علامات التعظيم هو الاتيان بالحج من حيث هو استجابة لأمر الله "﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(آلِ عِمْرَان: 97)" فالحج حق لله على الناس كما ذكرنا ويتطلب تحقق ذلك القدرة عليه لذا جاء النص على الاستطاعة، وقال تعالى ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: 185] قال الإمام الطبري: "يريد الله بكم –أيها المؤمنون- التخفيف عليكم لِعِلمِه بمشقة ذلك عليكم في هذه الأحوال"[23]

(21) بن حزم، علي بن أحمد: المحقق / المترجم: أحمد شاكر، دار الجيل ص46 ج7

(22) ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد: المصنف في الأحاديث والآثار 1- 9 مع الفهارس ج3 حديث رقم 13237

(23) الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ص162

الحج على ما هو معلوم عبادة بدنية ومالية، ولكننا لا يمكن أن نتخذ الحج مؤشراً على الملاءة المالية والغنى فواقع الحال كثيراً ما يشي بخلاف ذلك. فإن قيل أن الفرض في الحج مقرون بالاستطاعة فإن المال جزء منها. والشاهد أن النبي عليه (صلى الله عليه وسلم) جعل المتابعة بين العمرة والحج سبباً للغنى ولم يكن الحج عبادة للأغنياء كالزكاة، لكننا سنجد أن بواعث الحج في غالبها بواعث معنوية وليست مادية وهي بذلك ثقافية أكثر منها اقتصادية. وفي ترتيب المقاصد بِحسب الأولوية قدّم أهل العلم الشرعي حق العبد في المال على حق الله وقالوا أنّ حق العبد على المؤاخذة والمشاحّة وحق الله على المسامحة والمساهلة وقالوا أيضاً أن المسلم "قد يقدّم حق المال على حق الدين حين يريد الحج فلا يأمن على ماله بسبب محارب أو غاصب، فيسقط عنه الحج لفقدان الاستطاعة كما ذهب إلى ذلك المالكية وغيرهم"[24]. وقد أذن الله تعالى لعباده في أن يبتغوا المال وهم يؤدون مناسك الحج فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة، 198]. وجاء في حجة الوداع: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا... "[25].

والأمر غير ذلك فيما يتعلق بجانب كونها عبادة بدنية فالمشقة والإرهاق الجسدي أمر لا يمكن نفيه مهما تحسنت الأحوال وتغيرت الظروف لذلك اسماه النبي صلى الله عليه وسلم جهاداً ففيما رواه أحمد من حديث عائشة "نعم عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة"[26]

أما الكيفيات والوسائل الشرط فيها كما أوضح الأصوليون هو تعينها وسيلة لمقصد مشروع ويشترط في المقصد ما يشترط في الوسيلة[27]، وما أتينا على ذكر المقاصد في هذا البحث إلا لتعلقها بالوسائل المعبر بها عن كيفيات التعظيم، ولا شك ان تعظيم الخالق وتقديسه وتعظيم حرمات الله وعدم تجاوزها، يمثل مقصداً لذاته من مقاصد العبادة، وهو كذلك في فريضة الحج وشعائرها، وقد اشارت آيات الكتاب العزيز للتعظيم باعتباره فعلاً قلبياً في الأساس: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32]، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30]، إلا أنها لم تغفل الأشكال والكيفيات الدالة على هذا التعظيم الذي تبتغى إليه الوسائل التي تعكس حقيقته، وتعبر عن مقاصده. وقد قيل أن (الوسائل لها أحكام المقاصد).

وقال الإمام القرافي رحمه الله: (حكمها- يعني الوسائل- حكم ما أفضت إليه)[28]. ومعنى القاعدة هو أن الأفعال التي تؤدي إلى المقاصد، يختلف حكمها باختلاف حكم المقاصد، فإن كان المقصود واجبا فوسيلته واجبة، وإن كان محرماً فوسيلته محرمة، وإن كان مندوباً فوسيلته مندوبة، وإن كان مكروها فوسيلته مكروهة، وإن كان مباحاً فوسيلته مباحة. وفي واقع التجربة الإنسانية تتعلق الوسائل بالأهداف تعلقاً موضوعياً كونها السبيل المؤدي إلى

---

(24) الزتبير، عبد الله عبد الرحمن: مقاصد المال ورعايتها في العمل المصرفي الاسلامي، الهيئة العليا للرقابة الشرعية، بنك السودان 2009.نقلا عن: ابراهيم، محمد الحسن بريمه، سلامة الاموال مدخل مقصدي، ندوة الحج الكبرى، وزارة الحج السعودية، ص403.

(25) التكامل المعرفي، مصدر سابق ص 123.

(26) أحمد بن حنبل، المسند حديث رقم (٢٥١٩٩) مجلد 6 ج 17.

(27) ويشترط في إعطاء الوسيلة حكم مقصدها؛ أن تكون مفضية إليه، فإن تبين عدم إفضاء الوسيلة إلى المقصد فإن الوسيلة يسقط اعتبارها،، ويشترط أن يكون إفضاء الوسيلة إلى مقصدها مقطوعاً به، أو غالباً. أما إن كان الإفضاء نادراً فلا عبرة به؛ إذ الأحكام الشرعية إنما تناط بالكثير الغالب، لا بالبعيد الناد؛ ولذلك قيل: (لا عبرة بالظن البين خطؤه). انظر: مقاصد الشريعة لابن عاشور ص148، القواعد للمقري 242/1. إعلام الموقعين 279/3، والموافقات.

(28) ونظم الإمام أبوبكر بن عاصم في ذلك فقال:

وكل فعل للعباد يوجد.. إما وسيلة وإما مقصد

فهي له في الخمسة الأحكام.. تأتي به بحكم الالتزام.

تحقيقها ومقاصد الحج كثيرة وهي على خصوصيتها، لا تخرج عن المقاصد الكلية للشرع والتي قسمها الأصوليون إلى ضروريات وحاجيات وتحسينات.

وكما أن الكيفيات الدالة على التعظيم تأخذ حكم التعظيم فإن ما يخالف التعظيم من الأفعال لا يصلح أن يتوسل به إلى معظَّم، وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أن أبا بكرٍ الصديق- رضي الله عنه- بعثه رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- قَبْلَ حجةِ الوداع يومَ النحر في رَهْطٍ يؤذِّن في الناس: (ألا، لا يحُجُّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوفُ بالبيت عُرْيان)[29].

والمعني بالمقاصد هنا المقاصد الأصلية التي" لا حظَّ فيها للمكلف، وهي الضروريات المعتبرة في كل ملة"، والضروريات الخمسة المقصودة هنا المعتبرة لدى غالب علماء الأصول هي "حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"[30]. وكونها "لا حظَّ فيها للعبد من حيث هي ضرورية" إنما هو بسبب أنها "قيامٌ بمصالح عامة مطلقة، لا تختص بحال دون حال، ولا بصورة دون صورة، ولا بوقت دون وقت"[31].

وهي ضرورية لكونها " لا بدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فُقدت لم تجر مصالِحُ الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوتُ النجاة والنعيم والرجوعُ بالخسران المبين"[32]. وقد عينها الغزالي تلخيصاً بقوله: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة[33].

والسؤال ما هو أثر ذلك في تعظيم شعائر الله في حق الأفراد والأمة؟

والإجابة إنها القاعدة التي يستند إليها العمل فالقاعدة أن صلاح العمل وقبوله رهن بما يتوفر فيه من النية الصالحة والقصد الحسن وإذا صنفت المقاصد السابقة الذكر بأنها مقاصد أصلية "لاحظ قيها للمكلف فأن مقاصد الحج ومنها التعظيم والتكبير والذكر وشهود المنافع كلها من حظوظ المكلفين ولا يتحقق استيفاؤها إلا بإخلاص النية واستحضار المقصد "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله "(رواه البخاري ومسلم)، "ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[34]". والعامل الثالث في كيفيات التعظيم هو الاجتهاد وتيسير التعامل مع الشعائر وتوسيع نطاقات تعظيمها لتشمل الحاج المحرم والمؤمن المتشبه بالحاج في حله وذلك عبر توظيف التقنيات المتجاوزة لحدود الزمان والمكان.

---

(29) للشوكاني: فتح القدير، ٢/٦. (٥) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، برقم ٣١٩٧، ومسلم، كتاب القسامة.

(30) الشاطبي: الموافقات، ج2/1، ص8. قال أبو حامد: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة. " الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: المستصفى من علم. الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997/1417)، ج1، ص417. على الرغم من أن الغزالي يرى أن "تحريم تفويتَ هذه الأصول الخمسة والزجر عنها، يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل، ولا شريعة أُريد بها إصلاحُ الخلق" (المصدر نفسه)، إلا أنه مما يثير العجبَ حقًّا أنه ذكرها في سياق كلامه على ما اعتبره أصولاً وهمية مما تمسك به الشافعي من الفقهاء وعدوه من مدارك الأحكام الشرعية (وهي شرع من قبلنا، وقول الصحابي، والاستحسان، والاستصلاح أو المصلحة المرسلة)!

(31) المصدر نفسه، ج2/1، ص134.

(32) انظر: الميساوي: ما بين مقصدية الشرع وسننية العمران البشري والاجتماع الإنساني نظرات أولية في مساقات التنظير الاجتماعي. التكامل المعرفي، ص 201 نقلاً عن الشاطبي: الموافقات، ج2/1، ص7.

(33) الغزالي: المستصفى من علم الأصول، "تحقيق" الأشقر ج1، ص417.

(34) النووي: شرح صحيح مسلم، (49: 13).

خلاصات ونتائج البحث:

1- تمثل المقاصد في النموذج المعرفي الإسلامي نقطة الالتقاء بين إرادة الشارع واتجاهات المكلفين. حيث تُعد المعرفة بمقاصد الإسلام الكلية مطلباً أساسياً وضرورة معرفية لازمة لكل مجتهد في الدين وأداة منهجية هامة لمن يحاول المقاربة بين الإسلام ومجالات المعرفة الإنسانية.

2- الحج شعيرة دينية ذات أبعاد اجتماعية وإنسانية فريدة تشهد بذلك حقائق العلم الاجتماعي معززة حقائق الوحي الإلهي؛ والمعرفة الإنسانية المعاصرة تكشف عن معالم للعظمة المتجسدة في هذا الركن على نحو لم يكن- فيما سبق– بهذا الوضوح؛ وبالتالي فإن استيعاب حقائق تلك العلوم والتعريف بها هو مما يزيد الأمكنة والأزمنة والمشاعر والشعائر المتعلقة بالحج عظمة في نفوس المؤمنين.

3- للحج دور في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين الناس، وتطوير النظم الاقتصادية وتنمية ثقافة الادخار بين المسلمين.

4- يقوم خطاب التعظيم على جوانب تواصلية ثقافية وأسس معرفية ومرتكزات منهجية لازمة لهذا الخطاب.

5- يساعد التطور في فروع المعرفة الإنسانية والاجتماعية وتعدد مناهجها واتساع مباحثها وتعاظم كسب المسلمين فيها على تحقيق تقدم في دراسة الحج باعتباره ظاهرة فريدة من ظواهر الاجتماع البشري. ويدعو لتوظيف نظريات وفرضيات علوم مثل علم النفس الاجتماعي والاتصال والاجتماع لدراسة حشود الحجيج التي تستوعب وتتجاوز بانتظامها نظرية الفوضى وبتواصلها نظرية الحشد والكتلة وبتفاعلها وانفعالها نظرية عدم التجانس.

6- الحج عبادة جماعية وحق لله على العباد، متعلق بالناس تقوم بها أمة المسلمين معززة به شهودها الزماني والمكاني على بقية الأمم، وجل الآيات المتحدثة عن الحج تشير إلى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[آلِ عِمْرَان: 97].

7- والحج واحد من العبادات القائمة على السلوك الجمعي والتفاعل الاجتماعي وكل شعيرة من شعائره دالة على هذا المعنى، وتمثل الكعبة مركزاً لذلك التجمع، ابتداءً من توجه الملايين إليها في الصلاة وانتهاءً إلى قيامها بجمع الملايين في الحج والعمرة فهي بذلك وسيلة وواسطة لتمتين شعور الجماعة وتقويتها وإدامتها.

8- الحج مؤتمر عالمي عام منتظم الانعقاد وهو بهذا الانتظام يحقق أسمى معاني الشهود الحضاري لهذه الأمة ظاهرة من أرقى ظواهر الاجتماع البشري، فهو يشهد بأن اجتماع الأسرة الإنسانية على تباينها الثقافي والإثني واللغوي أمر ممكن في أجواء من الأخوة الصادقة والمحبة الحقيقية والروحانية العالية، ولو استثمر المسلمون هذا الشعور فعرضوه وقدموه كمظهر ممن مظاهر التعايش والتواصل الإنساني يكونون قد حققوا بذلك مظهراً من مظاهر قوة هذه الأمة.

9- في الجانب التواصلي والثقافي نجد أن كثيراً من الآثار الثقافية والأدبية المؤلفة حول رحلة الحج تبين عمق الأثر النفسي والروحي لهذه الرحلة في نفوس مرتاديها من المؤمنين خاصة من تحولوا منهم للإسلام من ديانات أخرى.

10- من حيث دلالة المكان لا تزال الكعبة تمثل تجسيداً حياً وتصويراً عملياً وحدة المسلمين القلبية ووحدة الوجهة والغاية، ووحدة الهدف والمقصد.

11- ومن حيث لغة العلامات والدلالات الرمزية فإن أمة التوحيد قائمة على تعظيم قبلتها وشعارها، ومهما اتخذت شعوب المسلمين من الأعلام والشعارات والرايات فإن قبلتهم الدائمة هي الكعبة وشعارهم الدائم هو كلمة التوحيد ورايتهم الأعلى هي راية الإسلام.

12- إن استيعاب عمق الدلالة الإعلامية في معنى الشعيرة واستحضار تلك الدلالة كفيل بتمكيننا من التمييز بين النسك والشعيرة. فالنسك يمكن أن يستكمل بمجرد الأداء، أما الشعيرة فلا يتحقق معناها إلا بهذا البعد

الإشهاري الإعلاني بلغة الحاضر، ومن هنا جاء معنى الشعيرة "من العلامة والشعار" وهذا احتفاء كبير بالجانب الحسي والتفاعل البصري والرمزي في شعيرة الحج.

13- وبتحليل عمليات التفاعل الرمزي تبدو رحلة الحج غنية بالرموز والعلامات بدءاً من شعار الإحرام باللباس أو تعليم الهدي بالطعن في أيمن البهيمة إعلاماً أنها من الهدي، ومروراً بالرموز المكانية من الكعبة إلى مقام إبراهيم عليه السلام وغيره، وما من شك أن إبراز هذه المعالم والترويج لها إعلامياً وسيلة تعظيم لشعائر الله.

14- أكد التطور المذهل لوسائل وأنظمة الاتصال المعاصرة أن رهان الإسلام على الفطرة بتأكيده على التواصل الإنساني المباشر بين أبناء الأمة بمختلف انتماءاتهم الثقافية أمر ممكن تحت راية التوحيد، وضِمْنَ دين الفطرة مما جعل الحج يبدو ظاهرة إنسانية فريدة تعكس قوة الإسلام كرؤية عقدية وفعل حضاري متجاوز، لأكثر الأنظمة والتقنيات الإنسانية تقدماً وتطوراً.

15- لقد أفضى النظر في واقع تعظيم شعائر الحج لبيان أثر الحج في الأفراد والجماعات على مستوى المعرفة بأبعادها المختلفة فكانت رحلات الحج فاتحة للآفاق الثقافية ومثرية للمجالس العلمية، وبالنظر إلى نواتجها العلمية عدت بعض الرحلات بمثابة طفرة باقترابها من الواقع وما أغنت به المكتبات من العلوم والمعارف. وما زال للحج دوره في انتشار العلم ونقل المعرفة والاتصال الثقافي.

16- الحج ركن ديني وفريضة إسلامية عالمية تتدرج تأثيراتها الاجتماعية والثقافية في حياة الحجاج من بين تأثيرات عامة تنعكس على عامة المسلمين وتأثيرات ثقافية خاصة بسكان مكة وما جاورها من مدن الحجاز، وتظهر انعكاسات مشاعر الحج إلى العالم الخارجي في العلاقات السياسية والاقتصادية بين المسلمين، والمعاملات التجارية بينهم وغيرهم من دول وشعوب العالم ويظهر ذلك في تطوير سلوكهم المالي والادخاري من ناحية وواقع مظاهر الحج وشعائره من ناحية أخرى.

التوصيات:

1- الدعوة إلى تحقيق التكامل بين مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية وحقائق الوحي الإلهي والتعريف بأهم نتائج ذلك التكامل وتوظيفه في تعزيز ما للأمكنة والأزمنة والمشاعر والشعائر المتعلقة بالحج من تعظيم في نفوس المؤمنين.

2- توظيف نظريات وفرضيات علوم مثل علم النفس الاجتماعي والاتصال والاجتماع في دراسة حشود الحجيج وتحليل ما يميزها من انتظام واتساق وتواصل وتوظيفها في اختبار التراث النظري في ظواهر الحشود والكتل في تفاعلها الايجابي وانفعالها السلبي.

3- استثمار الشعور الإيجابي الذي يدير قدر ضخم من التعدد والتنوع البشري وعرضه عبر الوسائل المختلفة كمظهر ممن مظاهر التعايش والتواصل الإنساني، وتقديمه مظهراً من مظاهر قوة الأمة وتميزها.

4- الجعل من إبراز معالم الحج والترويج لها إعلامياً وسيلة تعظيم لشعائر الله.

5- الاستفادة من نواتج البحث العلمي في تطوير الممارسة والاجراءات المتعلقة بهذه العبادة الجليلة، وتيسير أدائها في ظل التطورات الجارية في مختلف مجالات الحياة المعاصرة.

قائمة المراجع:

1- ابن العربي: محمد بن عبد الله الأندلسي :أحكام القرآن،)دار الكتب العلمية ط1)

2- باقر، اخلاص هاشم النجار. عبد الله، رجاء عيسى السالم: قياس ادخار الحج في التجربة الماليزية للمدة (2014-2002) مجلة البحوث الاقتصادية والمالية مجلد 3 العدد 2.

3- التيسان، هدى بنت محمد: أثر الحج في سلوك الفرد، غتاب ندوة الحج الكبرى (الحج عبادة وسلوك حضاري) وزارة الحج السعودية 1434هـ

4- حردان، محمد نصيف: رحلة الحج عند الرحالة المغاربة التجيبي السبتي أنموذجاً، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (23) العدد(5)

5- الرشيدي، حياة مناور فرحان: دور الحج في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام في ظل الدولة العثمانية من خلال حكم آل العظم، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، 2016/4، 2016 Vol. 9 Issue 3, pp. 1417- 1464.

6- سعيد، ادوارد: الاستشراق: المفاهيم الغربيّة للشّرق, ترجمة محمّد عناني, القاهرة, ط1 , 2006.

7- صديق، محمد خليفة: عن طرق الحج في إفريقيا الدور العلمي لرحلات طريق الحج الإفريقي رحلة الشنقيطي للحج نموذجا، الخرطوم مركز البحوث والدراسات الافريقية، جامعة افريقيا الخرطوم 2016.

8- الطبري، أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سـ1992م، ج2.

9- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد سليمان الأشقر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997/1417.

10- فتح الله، محمد: أضواء قرآنية، دار النيل مصر.

11- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية- القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ- 1964 م.

12- لميموني، فيصل بن فالح: تعظيم شعائر الله، مجلة العصر 2010- 4- 26 |.

13- موقع تعظيم البلد الحرام: هل فهمنا معنى التعظيم؟ 28 ربيع الثاني، 1434 http: //www. dawa. com/Pages/Subjects/default. aspx?id=15772

14- الميساوي. محمد الطاهر: ما بين مقصدية الشرع وسننية العمران البشري والاجتماع الإنساني نظرات أولية في مساقات التنظير الاجتماعي. التكامل المعرفي، معهد إسلام المعرفة السودان 2010م.

15- النابلسي، محمد راتب: ومضات في الإسلام، http: //www. nabulsi. com/blue/ar/print. php?art=9517 بتاريخ: 2005- 08- 20